مصريتان تلحقان بحاملة الطائرات الامريكية انتربيد »(٤٧)، خاصة ان سير الاحداث يخدم القضية العربية « المراقبون ، كسب عبد الناصر الوقت وصار الزمن ضد اسرائيل »(٤٨) واذا تتبع الباحث الصورة رأى الامر مبشرا بنصر ساحق ، فالعرب صف واحد لا شقاق فيه « زكريا محي الدين يطير اليوم الى الجزائر »(٤٩) والجماهير تطلق كل حماسها « مئات الالوف يهتفون : ناصر . ناصر »(٥٠). أما فيما يتعلق بموقف الاصدقاء فمشجع ايضا « قطع الاسطول الروسي تصل الى المتوسط وتراقب السفن الامريكية عن كثب » بعد كل هذا تبدو صورة النصر قريبة ، كيف لا « والتنسيق العسكري العربي يتكامل »(٥١) بل انه يمكن البدء باحتفال النصر قبل وقوع المعركة « لن تقيم التبرعات اسرائيل الى الابد . وعسكريا سقط منطق قوتها المزعومة ، وعربيا زالت الاوهام »(٥٢).

يتلاقى في اطار هذا المنطق امران : التخلف والدفاع اللاواعي عن البنيان الهش ، انه ترميم مسبق للبناء المتصدع حتى قبل رؤية الصدوع . وينتج عن ذلك أمر اخر هو وجوب اذعان الفرد وصمته ، ذلك أن كل شيء يتسم بالكمال والاتساق ، لذلك فاي نقد هو كسر لقانون سليم وتشهير ببناء متسق بلا شروخ .

يرتفع الحماس ويبلغ ذروته في الخامس من حزيران ، حيث تشير كل الدلائل الى النصر « القوات السعودية تدخل المعركة . الجزائر والكويت والسودان تعلن الحرب على اسرائيل ، وقوات الاردن تحتل جبل « المكبر » في القدس وتضرب خمس مستعمرات اسرائيلية . طيران العراق يقصف مواقع العدو ومنشآته داخل اسرائيل، والقوات البرية تتقدم . قاذفات القنابل السورية تضرب معامل التكرير في حيفا »(٥٣). والنظرة الى ميدان المعركة توحي بأمر واحد أكيد « الشعور عند العرب بالنصر وسقوط اسرائيل »(٥٤).

يتابع الفرد العربي بعد ذلك سير المعركة بهدوء ليرقب عملية احتضار اسرائيل السريعة « قواتنا المسلحة توغلت داخل اسرائيل بعد معارك عنيفة واسقاط ٨٦ طائرة ، بيانات اسرائيل تعترف بالخسائر الفادحة والتقدم العربي الجبار »(٥٥). هذه الانتصارات حققها فقط فريق واحد في المعركة ، اما الفريق الاخر فله انتصاراته أيضا « نسورنا البواسل يسقطون ٥٤ طائرة صهيونية ــ القوات العربية تدخل فلسطين ــ الحرب في يوم الانتصار المبين »(٥٦).

ان هذا الانتصار حسب منطق الصحافة العربية لم يكن مفاجئا ، فالقاهرة « لم تكن فقط تتوقع العدوان في أي لحظة ومستعدة له كل الاستعداد ، وانما كانت على علم مسبق ودقيق بتاريخ وقوعه ، والقاهرة كانت تقول ، الضربة الاولى لاسرائيل ثم الضربة الثانية لمصر وستكون ضربة قاضية »(٥٧) يقود هذا المنطق شكليا الى تحديد حجم النصر « العواصم العربية تعيش فرحا تاريخيا والغارات على تل ابيب مستمرة »(٥٨) وتحديد حجم هزيمة العدو ايضا « تلقى طيران العدو ضربة قاصمة وفقد ١٦٠ طائرة في ١٢ ساعة »(٥٩).

ولا يريد هذا المنطق المضلل ان يكشف تخلفه ودوره الايديولوجي بالمعنى المبتذل للكلمة لذلك يمعن في التضليل عندما يحدد نقاط انطلاقه « الاحتمالات بعيدة عن العاطفة القومية بل نابعة من العقل ، ان اسرائيل وقعت بعدوانها في فخ من المستحيل عليها الافلات منه »(٦٠).

بعد تأكد الهزيمة بكل ابعادها المروعة يمكن ان نستخلص حقيقة واحدة هو ان حجم التضليل كان بحجم الهزيمة ، وان ممارسة التضليل هي الخبز اليومي للانظمة ، واذا